ربع جولة في غرفتين!

سهيل سامي نادر بلا (ظهر) وعبد الزهرة زكي الأكثر هدوءاً وزهير الجزائري: لا للتدخين!

- ما صلة القرابة بين أحمد السعداوي والكاتبة المصرية نوال السعداوي؟

- يحيى الشرع يرغب بتحويل أمانة بغداد إلى منظمة مجتمع مدني!

- لماذا صوّر نهاد العزاوي تمثال الرصافي من الخلف؟

حسين محمد عجيل

إيضاح لا بد منه!

كنا خططنا، في قسم التحقيقات، لإنجاز تحقيق داخلي موسع يشمل كل الأقسام في مبنى الجريدة، بحيث لا نغفل الإشارة إلى أي منتسب لعائلة المدى الكبيرة. فقد قيل لنا مراراً، وعلى لسان الكثيرين من محبي الجريدة ومدمنيها، إن من حق قراء المدى أن يعرفوا (الكادر) الذي يقف وراء صدور عدد جديد منها مع شروق كل صباح، وليس أفضل من انتهاز الذكرى السنوية الأولى لصدور المدى لتحقيق رغبة هؤلاء المحبين وغيرهم، لا سيما أن هذا التحقيق صار تقليداً متبعاً في مناسبات كهذه .. ولذلك قمنا بإجراء جرد بكل الأقسام والوحدات التي يشكل تآلفها جسد المؤسسة وتوزعناها فيما بيننا، على أن نراعي في كتابة أجزاء التحقيق الأربعة الانتقال السلس فيما بينها لتدمج بالنهاية في تحقيق موحد.. واكتشفنا أن قسمنا وفقاً للمعيار الذي اتبعناه، وهو تسلسل حركة الداخل إلى الجريدة، يقع في ذيل القائمة التي أعددناها، ووجدنا أن هذا يتناسب مع رغبتنا.هكذا يفترض أننا اتفقنا، ولكن زميلنا أحمد السعداوي (بالمناسبة هو لا يمت بصلة للكاتبة المصرية نوال السعداوي برغم مزاعمه في كونها عمته اللح!) حين جلب الجزء الخاص به من التحقيق وضعنا أمام مفترق طرق؛ فقد جاء تحقيقه الجزئي بمثابة دائرة كهربائية مقفلة، بحيث لا يمكن أن يدخل في دائرة أكبر منه دون أن تتهشم وحداته ويفقد الكثير من عناصره الجمالية، ولم نشأ أن نفعل ذلك خصوصاً أنه قد تزوج حديثاً!

السعداوي وضعنا إذن أمام خيار واحد هو أن تكتب أجزاء التحقيقات الأخرى، كتحقيقات منفصلة. ورأينا أن أجواء مناسبة جميلة كهذه تتيح لنا التخفيف قليلاً من بعض الاشتراطات الفنية، وهكذا كان.

مع سمير هادي ونهاد العزاوي

تضم وحدة التصوير الزميل المصوّر سمير هادي الذي أثبت براعة في التعامل مع التكنولوجيا التي دخلت حديثاً في مجال التصوير، فهو يستعمل بمهارة الكاميرا الرقمية (دجتال) وإن كان لا يخفي حنينه إلى كاميرته الكلاسيكية التي حقق بها شهرته في ميدانه، وفوق هذا أثار (أبو سيف) مفاجأة (وربما حسد!) بعض الزملاء بإجادته التعامل مع جهاز الكومبيوتر في حدود عمله بمساعدة الزميلة زينة خليل، وإثر رحلة إلى أربيل قام بها بمعية الزميل أحمد السعداوي، الذي أجرى له دورة سريعة على جهاز الحاسوب وفتح له (إيميل) خاصاً به على شبكة الإنترنت. وبرغم أن الرسائل التي يتلقاها تأتي دائما من زملائه في الجريدة ومن الغرفة نفسها، إلا أنه يطمح أن تشهد الشهور القادمة تلقيه رسائل من قارات العالم السبع! خصوصاً بعد أن اقتنى الموبايل ليثبت انه دخل عصر الثورة المعلوماتية من أوسع أبوابه. كل هذه التطورات التكنولوجية أثرت إيجابياً على إيقاع عمله في تزويد كل مفاصل الجريدة وأقسامها وصفحاتها بلقطات فنية متقنة، يراعي فيها عناصر المنظور واختيار الزوايا غير المتوقعة للموضوع، وتوزيع الكتل وإضفاء معان أخرى على الصورة يتجاوز معطياتها المباشرة، ولا ينسى التركيز على جماليات الصورة في أشدّ المناظر قسوة.

وهناك أيضاً الزميل المصوّر نهاد العزاوي الذي انضم إلى (كادر) المدى مطلع هذا العام، واستطاع خلال هذه المدة القصيرة أن يقيم صلات قوية مع كل (كادر) الجريدة، فهو محبوب لا يبخل على أحد بأي خدمة تطلب منه، وبكلمة طيبة واحدة تستطيع إقناعه بالذهاب معك إلى آخر العالم. (أبو مصطفى) كان أحد الزملاء الذين نجوا بأعجوبة من أقسى حادث تعرض له صحفيو المدى منذ تأسيسها، حينما كانوا في مقر الاتحاد الوطني الكردستاني ببغداد لحظة تعرضه إلى حادث إرهابي.. ويبدو أن نهاداً يهوى المغامرة، فتراه يرحب بأي واجب في أكثر المناطق توتراً، فعند اشتعال الوضع في النجف رافق بترحاب كبير الزميل سعيد عبد الهادي وجاء من هناك بصيدٍ وفير من الصور الساخنة بمقدار سخونة الحدث، وفي رحلة مشابهة سبقتها إلى المدينة نفسها وفي مرحلة غليان أخرى، عاد منها أيضا بلقطات توثق أحداث مدينة ملتهبة. لكن الزميل محمد درويش علي رئيس قسم المنوعات يذكر (والعهدة عليه) أنه حين كلفه يوماً بتصوير تمثال الرصافي، وجلب له الصور على وجه السرعة، تبين أنها كانت مصورة جميعاً من الخلف!

وحدة الانترنيت والمجتمع المدني

أما وحدة الإنترنت في الجريدة فتضم الزميلة زينة خليل، التي غدت بعد ارتباط الزميل علي ناصر بعمل آخر خارج المؤسسة العنصر الأقدم فيها، والوحدة تضم أيضاً الزميل علي سمير، و(آخر العنقود حتى الآن) الزميل دلشاد محمد عبد القادر، الذي عُيّن قبل فترة قصيرة في وجبة ما بعد الظهر. هذه الوحدة في سباق مع الزمن لمتابعة كل ما يستجد على شبكة الاتصالات الدولية للظفر بأخبار دسمة تزود بها كل مفاصل الجريدة، وإن كان قسم المنوعات والقسم الرياضي يتسلمان حصة الأسد منها.

أما الزميل جهاد زاير الذي انضم مؤخراً إلى أسرة التحرير، محرراً للصفحة السادسة (مجتمع مدني)، فلم يجد له إلا طاولة شاغرة بغرفة هيئة التحرير، فاتخذها مكتباً مؤقتاً له، بينما استمر زميلاه الآخران المحرران في الصفحة: يحيى الشرع وعبد الستار الحسيني في إشغال مكانهما السابق في غرفة الأخبار حين كانا محررين بالأخبار المحلية. يحيى الشرع الذي كان مشغولاً، وشغل معه الجميع، بملاحقة مشاكل أمانة بغداد والتباسات عملها وما تردد عن اختلاسات مالية فيها، برغم أنه كان مكلفاً بمتابعة شؤون وزارة الصحة وشجونها! يبدو انه لا يريد ترك قضيته العتيدة مع أمانة بغداد حتى بعد أن تحول إلى صفحة مجتمع مدني. ترى هل يحاول الشرع إقناع الزميل جهاد زاير بأن أمانة بغداد هي من صميم منظمات المجتمع المدني لكي يواصل تموين الجريدة بأخبارها؟

في ضيافة هيئة التحرير

تبدو غرفة هيئة التحرير- وهي الأقرب لمن يرتقي سلم مبنى الجريدة فما عليه سوى أن يستدير بخطوة واحدة إلى اليسار لتكون خطوته الثانية على عتبة بابها - الغرفة الوحيدة المعزولة عن غرف التحرير الأخرى. لكن هذه العزلة (الجغرافية) لا تعني انقطاعاً على مستوى التعامل اليومي؛ فالبراد الوحيد في طابق التحرير، مثلاً، موجود في داخل هذه الغرفة والجرائد اليومية تتوزع بين طاولات أعضاء هيئة التحرير. وقبل هذا وذاك يتسم أعضاء هيئة التحرير بقدرة عالية على الاستقطاب الإنساني؛ لذلك من النادر أن تخلو هذه الغرفة، التي تمثل مركز عمليات الجريدة ونقطة التقاء أقسامها، من وجود أحد رؤساء الأقسام أو المحررين أو منتسبي القسم الفني أو موظفي الإدارة، هذا فضلاً عن الزيارات المنتظمة لضيوفنا الأعزاء من خارج الجريدة، التي تدلل كثرتها على ما للمدى وكادرها من مكانة لدى الأوساط الفكرية والإعلامية والثقافية والسياسية وبين الشرائح الاجتماعية المختلفة وفئات القراء.

سهيل سامي نادر بلا ظهر!

ما أن تقف على عتبة باب هذه الغرفة حتى يواجهك نائب رئيس التحرير الأستاذ سهيل سامي نادر جالساً على كرسي بسيط لا مسند له، يصر على عدم تبديله بحجة طريفة ذات دلالة، وهي أنه قضى كل حياته بلا (ظهر) يسنده، فلا حاجة به إلى ظهر الآن! وتراه أول ما تراه منكباً على المواد الصحفية يقرأها ويشطب على كلمة قلقة هنا وجملة زائدة هناك ويضيف عبارة يقتضيها ميزانه الذهبي للكلمات والمعاني بين جملتين متصلتين، من دون أن يشكو أو يتذمر إلا إذا طفح به الكيل ونادراً ما يطفح، لكنه بالمقابل يحرق من سكائره ما لا تتسع له كل منفضات الجريدة. سهيل سامي نادر ماهر إلى درجة لا تصدق في إقامة صلات إنسانية راقية مع جميع العاملين في المؤسسة بلا استثناء، وما من أحد في المؤسسة ليس له أكثر من موضوع أو قضية أو شاغل ما مع (أبو ياسر).. هكذا ينادى أغلب الأحيان من قبل الجميع، وهو برغم عدم احتفاله بالرسميات بل كراهته الشديدة لمظاهرها، يحظى باحترام وتقدير لا نظير لهما. أما على مستوى الكتابة فكتاباته تحظى بمقروئية عالية لدى المحررين وجمهور القراء العريض.. كتابات مدهشة ونثر فني عضوي متماسك لا مكان فيه للحشو أو الزوائد، يمثل نموذجاً للسهل الممتنع في عالم الصحافة. وهو لا يبخل على أحد بنصائحه الذكية المبثوثة ضمن نقاشات ديمقراطية تتسم بالندية واحترام الرأي الآخر. لذلك تراه موجوداً في كل مكان بحيوية شاب عشريني في غرف المحررين والقسم الفني والتصحيح، وفي الكافتريا تراه يجالس الجميع ويتواصل معهم. ولكن سهيل سامي نادر كثير النسيان، وإذا أردت أن تضيع شيئاً فضعه بعهدته كي تدخل أنت في متاهة، ويدخل المعهود به إليه في فوضى أوراقه التي يحرص على أن يسميها نظاماً خاصاً يفهمه هو وحده. وهو يعاند الجميع بأنه الأنشط ذاكرة بينهم والأقل نسياناً حتى لو ضُبط متلبساً بـ (نسيان) مشهود! وهو يتبع، ضمن تخطيطٍ مسبق، طريقة مبتكرة في النجومية على المستوى الجمالي؛ فبعد أن يطلق لحيته وشاربه للنمو العشوائي مدة قد تزيد على العشرة أيام، ويطلق قميصه فوق بنطاله. يفاجئ الجميع، مرتين أو ثلاثاً في الشهر، بحلاقة متقنة وملابس يختارها بذكاء مفرط لهذا الغرض، ليكون (دون جوان) الجريدة في ذلك اليوم. و لكنه، لكي يظهر نفسه زاهداً كعادته، يحاول إيهامنا نحن الأكثر فضولاً بأن أم ياسر، زوجته التي عاد معها قبل أيام من رحلة استجمام في الشام استغرقت قرابة شهر، هي التي أجبرته على كل هذا!

مدير التحرير وتمرد الشاعر

الأستاذ عبد الزهرة زكي مدير التحرير ، عالم آخر بحاجة الى توصيفات من نوع آخر، فالهدوء والصمت والصرامة صفات استفاد منها (أبو حيدر) كثيراً في إضفاء التعديل المناسب على ميزان هيئة التحرير الواجب توفره لإدارة مفاصل عمل أسرة التحرير والقسم الفني والوحدات الأخرى الملحقة، على نحوٍ يحقق التنسيق والتكامل بينها لإنجاح برامج تطوير العمل. لكن هذا لا يحجب حقيقة أن الشاعر الكامن في داخل مدير التحرير يحاول إظهار، أو تمرير، عناصر تمرده في أشكال مختلفة. وعبد الزهرة زكي الذي يكره المجانية في كل شيء، والجاد أكثر مما ينبغي أحياناً، والمتحسب لكل الاحتمالات، نادراً ما يبتسم في أثناء العمل، ولعل هذه الندرة تمنح ابتسامته ميزة كبيرة في عالم الابتسامات.

وبرغم أن هذه الثنائية بين صفتي مدير التحرير بمهاراته الفنية والإدارية، والشاعر بتمرده وكسره الدائم للقوانين، شكّلت لغزاً عصياً أمام بعض الزملاء ممن لا تربطهم به صلة حميمية، إلا أنها تحمل بين جانبيها المتنافرين سلوكاً عملياً يتسم بالمرونة والانفتاح في قضايا العمل والحياة، وينمّ عن طيبة حكيمة تحاول فرض عدالة عقلية تتجاوز حدود الأشخاص لتتأطر في توازنات أخلاقية عامة لا يحيد عنها إلا مضطراً. تبدو كتابات عبد الزهرة زكي الصحفية للوهلة الأولى وكأنها نحتٌ في صخر الكلمات يستعين عليها بإزميله الشعريّ الذي يأخذ استراحة شبه كاملة طوال أشهر الصيف، وهذا ليس سراً في بلاد صيفها كالمهل يشوي الوجوه. ويتبدى في هذه الكتابات أيضاً حرصه على ملاحقة المعنى العصيّ الذي يجهد نفسه في محاولة اصطياده.

لا للتدخين !

منذ اللحظة التي التقينا فيها رئيس التحرير التنفيذي الأستاذ زهير الجزائري، قبل نحو خمسة عشر شهراً، اكتشفنا مدى تحرره من أي إطار رسمي في تعامله مع الجميع، فهو يمتلك عقلاً مفتوحاً ويصغي بانتباه شديد إلى أية فكرة أو ملاحظة تسهم في تطوير العمل، ويدفع المحررين بطرق شتى إلى ملاحقة خبر مهم أو قضية جديدة تؤثر في حياة الناس اليومية وتشغل بالهم، ويمنحهم ثقةً لا حدود لها إذا وجد فيهم تميزاً أو مقدرة ما. ويبدو مشدوداً دائماً إلى إيلاء مسألة السبق الصحفي الاهتمام الذي تستحقه. وهو يؤكد دائماً ضرورة الالتزام بتقاليد الصحافة الديمقراطية على نحو صارم، وإعطاء الطرف الآخر مهما تكن الجهة التي ينتمي إليها، حصته الكاملة في بيان طروحاته والدفاع عنها، وحقه في الرد على أي موضوع. ويتخذ من حياته العريضة في المنافي موضوعاً لأحاديث عميقة تتخللها مفارقات وفواصل، تمنحها بساطته وأريحيته نفساً كوميدياً يغرق محدثيه في ضحك لا يقاوم. لكنه كثير النسيان في شواغل العمل اليومية، ولعله وجد في هذه الصفة آلية دفاع ناجحة بإزاء غزو مستمر لتفاصيل متكررة بأشكال لا تكاد تنتهي، تحاول أن تأخذ مكانها في ذاكرة مزدحمة أصلاً بالتفاصيل من كل نوع. هل كيف زهير الجزائري ذاكرته ونظمها لتستجيب على نحو لا إرادي، ظاهرياً، وتخزن في تلافيفها تجارب وتفاصيل بيضاً تنفعه، روائياً، في اليوم الأسود؟

كثيراً ما يشكو الجزائري، الشريك الثالث في غرفة هيئة التحرير، لزملائه غير المدخنين من خارج هذه الغرفة طبعاً، أنها تحولت إلى مدخنة بسبب إفراط زميليه فيها بالتدخين، وخصوصاً الأستاذ سهيل سامي نادر. ولكن إذا رجعنا قليلاً إلى الوراء، قبل أن تنتقل د.سلوى زكو، شريكتهم السابقة بالغرفة ذاتها والمعروفة بإفراطها بالتدخين أيضاً، إلى رئاسة تحرير جريدة النهضة لعرفنا أي محنة حقيقية كان فيها (أبو نصير). بدأت أشك الآن في أن أحد أسباب سفراته الكثيرة حول العالم هو هربه من دخان الغرفة!.

قبل أن اطفئ شمعتي الاولى في (المدى):

جولة خاطفة بين الزملاء.. وهم يعملون

أحمد السعداوي
تصوير سمير هادي

سأحمل معي، لهذا اليوم فقط، كاميرا متخيلة، أؤرشف بها دخولي إلى هذه البناية الانيقة التي تسمى (مؤسسة المدى للثقافة والفنون) والتي هي في الوقت نفسه مقر إدارة الجريدة التي تحمل الاسم نفسه (المدى).

هيئة التحرير. والقسم الفني. وباقي مفاصل المؤسسة، أعرف جيداً أن زملائي الآخرين يحملون في هذه اللحظة كاميراتهم المتخيلة ايضاً، ليوثقوا احتفاءهم بهذا اليوم، الذي يصادف العيد السنوي الاول لصدور جريدة المدى. لذا سأعبر مباشرة، وكأني اغمض عيني سائراً من الاستعلامات الخارجية، مروراً بالكافتريا وصعوداً على السلم إلى الطابق الثاني حيث أقسام التحرير، لأتوقف بالتحرير امام غرفة القسم الثقافي. ومن هناك افتح عيني، وعين الكاميرا المتخيلة التي أحملها، والتي لن توثق في الحقيقة ما هو أمامها لهذه اللحظة، وإنما ما تراكم من لحظات لا حصر لها ولا عد ابتدأت باليوم الذي باشرت فيه المدى الصدور.

القسم الثقافي

الاتهام (الجميل!) الذي سمعته لأكثر من مرة موجهاً إلى جريدة المدى. إنها ذات طابع ثقافي إنها - كما يقول البعض - أكثر الصحف العراقية (ثقافة) أو (ثقافية)، ومن الطريف أن هذه التهمة تكون محل نقاش وتساؤل في غرفة القسم الثقافي. حيث يقلب رئيس القسم قاسم محمد عباس هذه التهمة على أوجهها كلها. فيقول مرة.. إن من الطبيعي أن تكون صفحتنا الثقافية في المدى ذات طابع ثقافي، ولكنه لا يعرف لماذا تكون الصفحات الاخرى كالرياضة والمنوعات والاخبار المحلية مشمولة بهذه التهمة: يقول ذلك ثم يضحك للمفارقة قبل أن أعطيه تأويلي الخاص.. بأن مواد الثقافية هي الأقوى والأرصن قياساً بشبيهاتها من الصفحات الثقافية في الصحف الأخرى، لذا يطغى الاهتمام بها على ما سواها لدى أصحاب الاتهام.

وسرعان ما تعبر ضرورات العمل على الأحاديث الجانبية التي تجعل غرفة القسم الثقافي في بعض الاحيان أشبه بمنتدى مصغر لطيف واسع من الحوارات مع اشخاص كثر يدخلون ويخرجون. حينها يجلس قاسم محمد عباس إلى مكتبه ليلاحق الرسائل الالكترونية الكثيرة التي تأتيه من أماكن مختلفة محملة بمواد تستدعي الفحص والفرز بمعاونة زميله علاء المفرجي، الذي يقلب من جهة أخرى أكداس النصوص والدراسات والمقالات التي تأتي إلى الجريدة بحثا عما يثير اهتمامه وما ينفع صفحته (السينما) التي يعدها المفرجي.

وبرغم إيمان علاء المفرجي أنه ليس هناك ما هو أسوأ من الحديث عن شيء اسمه السينما العراقية. إلا أنه سرعان ما يغير رأيه حين يصبح الحديث أكثر جدية ليفصح عن طموحه الشخصي بخلق صلة مع المتلقي حول مستجدات هذا الفن الجميل، وأن القادم ينبئ بواقع مغاير للسينما العراقية ذات المسيرة المتلكئة والمتعثرة.

الشيء الغريب الذي يقفز إلى ذهني الآن بشأن علاء المفرجي، هو ملاحظتي الشخصية بأنه الشخص الوحيد ربما الذي لا يجلس في الكافتريا، وأراه في ثلاثة أوضاع فقط. أما داخلاً إلى الجريدة أو خارجاً منها أو جالساً وراء مكتبه في القسم الثقافي.

بينما قاسم لا يجلس وراء مكتبه إلا لضرورات (كومبيوترية)!

مؤخراً، توصل قاسم إلى قناعة نهائية بأنه وسيم وأن من حقه أن ينال شيئاً من النجومية، ودشن هذه القناعة باقتنائه مجموعة من الملابس الجديدة، وحين أخبرته باستنتاجي قال انني أتخيل كثيراً وللواقعة!! قراءات أخرى! بينما أعترض علاء المفرجي على احتفاظي بصورة تذكارية تظهره مع حشد من الناس، كان هو وحده الاقل مساهمة بينهم في مساحة الصورة، لأنه اكتفى بصلعته الدائرية الصغيرة في مقدمة الصورة فحسب!

الدكتور سعيد

الدكتور حيدر سعيد يشبه الصفحة التي يحررها (صفحة آراء وأفكار) بوصفين اولهما جاد فهو كتلة من الآراء والأفكار المتحركة على قدمين، لا تكاد تراه إلا منغمساً في مناقشة كل شيء والنظر من كتلة الآراء والافكار هذه إلى الموضوعات المختلفة.

أما الوصف الثاني للشبه بين الدكتور حيدر وصفحته فهو وصف هزلي. فالمقالات والدراسات التي تنشر في صفحته عريضة وواسعة وذات حجم كبير وذات ثقل يوازي حجم ووزن الدكتور حيدر الذي يتبع مع نفسه حمية قاسية لا أرى ضرورة لها، أو انني أفترض ذلك بسبب كونه لم يأكل أو يشرب أمامي.

الدكتور حيدر محاور ومجادل من الطراز الاول، لذا كان ناجحاً في إدارة (المشاركة في) عدد من الندوات والطاولات المستديرة التي أقامتها المدى طوال العام المنصرم. ويفاجئك دائما بالمامه بقضايا متعددة، وقدرته على الربط على اساس بنيوي بين موضوعات قد تبدو للوهلة الاولى متباعدة ومتناثرة. وأنا ارشحه منذ الآن للترقي في مناصب دبلوماسية في حكوماتنا القادمة، أو في المفاصل الاساسية من التخطيط الثقافي، برغم أني أعرف أن له وجهة نظر مختلفة إزاء حماستي هذه.

قسم المنوعات

محمد درويش علي رئيس قسم المنوعات والمسؤول عن تحرير الصفحة الاخيرة. هو الآخر من فئة الصوامت في الجريدة، وتبدو احاديثه المعتادة، وكأنها استيقاظات متباعدة من حالة استغراقية في العمل.

محمد ميال إلى روح النكتة والدعابة. لكنه يملك أسلوبه الخاص في تمريرها على الآخرين، فهو يروي لك كل شيء بحيادية وملامح متعادلة لا تعرف منها هل هو غاضب أم حزين أم سعيد. وربما ذلك هو ما يجعل وقع كلماته مؤثراً. خصوصاً حين يطلق الزميل عبد الكريم العبيدي ضحكته المجلجلة. على إثر مفارقة مفاجئة يمررها محمد درويش بهدوئه المعتاد.

قسم المنوعات هو القسم الذي يضم أكبر نسبة من الصحفيات في الجريدة، أو أنه بعبارة أخرى قسم نسائي بحت. إذا ما انتبهنا إلى خلو الاقسام الاخرى من الصحفيات أو نسبتهن الضئيلة فيها.

وليس غريباً أن تجد محمد درويش أغلب أوقات العمل. وهو (محفوف) بالصحفيات يناقشهن حول ما كتبن أو يوجه لهن تكليفاته الصحفية الزميلة آمنة عبد العزيز ليس في قاموسها شيء اسمه (لااستطيع)في العمل وتشكل مع الزميلة مها عادل العزي الكادر الاساسي للقسم.

صفحة المنوعات والصفحة الاخيرة تزدهي دائماً بأسماء زميلاتنا اللائي لا يحضرن كثيراً في مبنى الجريدة إلا لتسليم مادة أو أخذ توجيه ما، وأيضاً - وهذا مؤكد - من أجل تسلم الراتب آخر الشهر، أقول ذلك وأقر انني لا احضر على مدار الساعة في مبنى الجريدة ايضاً.

رياضة المدى

الذي ينظر إلى الاستاذ خالد محفوظ وراء مكتبه في القسم الرياضي (هو أقدم الصحفيين في القسم) وقد أحاط به محررو القسم من كل اتجاه. سيقول إن هناك حتماً.. أمراً جللاً يناقشه الاستاذ خالد مع فريق عمله. خصوصاً وأن ملامح الجدية لا تكاد تفارق وجهه. الزملاء اياد الصالحي وخليل جليل ويوسف فعل وإكرام زين العابدين (الذي يبكر في الحضور ويحرجنا جميعاً). هم المحررون الرياضيون الذين يردون في خاطري الآن. وأنا أعرف اياد الصالحي منذ ما قبل المدى وما قبل سقوط النظام برغم أني لست من هواة الرياضة، ولا أكاد أتابع أحداثها إلا عرضاً.

وأياد يتميز بأسلوبه الذي يمزج التحليل بحس الفكاهة. أما زملاؤه، فيثبت في ذهني طه كمر وهو يمزح ويلقي النكات مما يخلق جواً يساعد على العمل لدى زملائه، ويتميز يوسف فعل بانه صاحب العيون الخضر (الوحيدة) في القسم الرياضي. أما حيدر مدلول فـ (لله دره) وهو يأتي كل يوم من بيته في الاسكندرية، ولا أعرف ماذا سأفعل لو كان بيتي مجاوراً لبيته. أما الزميل خليل جليل المسؤول عن تغطية أخبار بعض الاتحادات الرياضية فالإشكال الوحيد الذي اعانيه كلما قرأت اسمه هو أن يتحول مكان النقطة في اسميه المتشابهين!

أما الزميلتان جنان محمد وكريمة كامل.. فهما الصحفيتان الوحيدتان في القسم الرياضي، حتى انهما تضيعان في زحمة زملائهما الرجال.

وأقرأ أسم أمجد الزين ولكني لا أراه، حتى عرفت فيما بعد أنه المراسل الرياضي للجريدة في عمان.

العمل في القسم الرياضي يبتدئ في وقت مبكر من النهار وينتهي عند الظهيرة قبل نهاية عمل الاقسام الأخرى، واضافة إلى صفحتي الرياضة في المدى، هناك المدى الرياضي الأسبوعية التي تصدر عن مؤسسة المدى ايضاً. وهذه الصحيفة التي يحررها القسم الرياضي أحرص على اقتنائها اسبوعياً. لأن هناك من (سيخطفها) من يدي عند العودة إلى المنزل.

الاقتصادية

الصفحة الاقتصادية في الجريدة هي الأقل من ناحية ملاك العمل. فعلى حد علمي ليس هناك سوى محرر الصفحة الأستاذ أسعد العاقولي وسناء النقاش التي تعمل معه، وربما هناك آخرون لا أعرفهم. والأستاذ اسعد يأتي إلى الجريدة دائماً بعد انقضاء وقت (الذروة) في زحمة العمل، ويدخل ليتخذ اية طاولة فارغة مكتباً له ويبدأ عمله، أو بالاحرى النصف الآخر من عمله، فهو كثير الحركة لمتابعة الشؤون الاقتصادية، وحركة السوق، لا أعرف بالضبط كيف يسيطر الأستاذ اسعد على صفحة يومية، يجب أن تتابع المستجدات، مع هذا الملاك المحدود، ولكنه يبدو أكثر معرفة مني بأسرار عمله.

حين أصادفه في المرة القادمة سأتحدث معه ربما حول فكرة إيراد جدول باسعار صرف العملات وأسعار المنتجات الاساسية، في صفحته الاقتصادية.

في قسم التحقيقات

كاميرتي المتخيلة بدأت تلهث، لذا أسارع - قبل أن تنفد بطاريتي! - للدخول إلى آخر محطة في حركتي داخل مبنى جريدة المدى، واقصد بكلامي هنا.. قسم التحقيقات. إنه آخر محطة لي، لأنه القسم الذي أعمل فيه.

حالما أدخل تواجهني ابتسامة (ابو يوسف) وأقصد حسين محمد عجيل رئيس القسم، هذه الابتسامة التي تختصر كلاماً كثيراً، وحالما أجيبه بابتسامة مماثلة حتى ينفجر بالضحك. لأنه يعلم أن رسالته قد وصلت سريعاً.

أنا أعرف ما يدور في خلد (أبو يوسف) من كلام، لذا أبتدئ دائماً معه من نقطة جديدة، وعادة ما يكون زميلي عبد الكريم العبيدي قد حضر قبلي بساعات، وفي بعض الاحيان يكون قد غادر. حتى قبل وصولي. ومؤخراً - بعد تسليم السيادة - اتفقنا أنا واخي عبد الكريم على أن يكون اسم رئيس القسم هو حسين محمد عجيل الياور!

الأستاذ حسين يبدو للكثير ممن يتابعون عمله، منشداً إلى أدق التفاصيل، ومنتبهاً لأي ثغرة يمكن أن تعتور عمل القسم، ويجند نفسه أغلب ساعات النهار، للتخطيط لمحاور صفحات التحقيقات للأسبوع القادم، وكذلك متابعة (بيضة) الصفحة في كل مراحلها، حتى تفقس بين يدي القارئ. مكتملة، ويسجل الملاحظات ويتقصد الحديث باعتناء مع العاملين معه، حتى لا يظل شيء ما مخفياً أو غير مدروس.

وأتذكر أن مشاركة محرري القسم في مسابقة بغداد الصحفية التي اقامتها كلية الاعلام في نيسان من هذا العام، وحصد جوائز التحقيقات كلها، كانت بالدرجة الاساس، بدفع منه.. حتى أنه - مثلاً - أغلق كل حجج تكاسلي حين جلب لي العدد الذي حوى تحقيقي عن الأهوار، رداً على كلامي له بأني أملك نسخة من هذا العدد.. وظل يلاحقنا أن وزميلي عبد الكريم العبيدي حتى أطمأن إلى أننا وضعنا مشاركاتنا في استعلامات كلية الاعلام.

حسين محمد عجيل بكل خبرة الاثاري والوثائقي والمحقق (من تحقيق المخطوطات) لا يريد من عمل قسمه ونتاجه إلا أن يكون في مقدمة الجهد الصحفي في الجريدة. لذا فان جزءاً كبيراً من قلقه اليومي.. هو كيفية الارتقاء أكثر فاكثر بالعمل الصحفي وتطويره. والبحث عن موضوعات غير مطروقة أو مسبوقة، والدفع المعنوي لزملائه في القسم من أجل توسيع حدود امكانياتهم وانجازهم.

الشيء الاستثنائي في صورة قسم التحقيقات هو حضور مراسلي المحافظات ويهمني هنا الاشارة إلى اثنين من الاصدقاء أولهما القاص سعد محمد رحيم الذي يضع تحقيقاته الرصينة والمحكمة بخبرة الروائي اللغوية، وتقنيات السرد المستثمرة بذكاء، أمام طاولة حسين محمد عجيل، وكأنه يخشى من تكرار اسمه في التحقيقات اكثر مما يتكرر في المواد الثقافية الصرفة.. الصديق الآخر هو محمد الحمراني.. الذي يأتي محملاً بأصوات البط ورقرقة الهور من مدينته النائية العمارة، ويضع تقاريره القصيرة ولكن المشحونة بالمفارقات التي تتحرك كواقع يومي في مدينته المتعبة، في سلة التحقيقات.

اخترت هذين الاسمين فقط من مراسلي المحافظات، بسبب إغراء المفارقة، فسعد هادئ، كأنه صائغ، أو حرفي منمنمات ومشغولات يدوية، يؤكد هذه الصورة ارتداؤه للنظارات الطبية حين القراءة أو الكتابة. سعد الصائغ والحرفي.. ينعكس في صوته وأسلوبه الهادئ جداً حتى وهو يضحك أو يروي حدثاً بانفعال.

يقف محمد الحمراني على الطرف الآخر، فهو من الانفعالات المتحركة. وتوحي هيئته البدنية بالأعمال العضلية. الشيء الغريب أن سعد ومحمد المختلفين تماماً، يلتقيان عند الاهتمام بالرواية وكتابتها.

أترك مراسلي القسم لأعود إلى محرريه الثابتين، فأسلم على سعيد عبد الهادي، مهنئاً إياه بنهاية امتحاناته، وبداية رحلة الكتابة في رسالة الدكتوراه. سعيد مزحوم بأكثر من شيء، حتى وان نفى ذلك، فهيئته توحي بجدول أعمال ومشاغل لا حصر لها، لكنه في لحظة استغراقه في العمل الصحفي. يمنح نفسه كلياً. هذا في الاقل ما لمسته منه في فترة قيامنا بتحقيقات مشتركة، طفنا بها أطراف بغداد، وخضنا في مقلع أزبال حسينية المعامل، حتى الركب، بحيث استغرقنا بعدها في الاستحمام وعلى مدى اسبوع كي ننسى هذه التجربة.

وكذلك دخوله إلى النجف الأشراف ابان الاضطرابات والقلاقل وحركته فيها على مدى نهار كامل، اثمرت عن تحقيق واسع معزز بصور زميله المصور نهاد العزاوي.

لم يبق سواي وزميلي عبدالكريم العبيدي، الذي إن تحدثت عنه فكأني اتحدث عن نفسي، إنه منافسي الأساسي في الصدق والأمانة، قبل أن يكون كذلك في العمل الصحفي، وعلى مدى سنة من العمل المشترك، أدعي أنني تعلمت من صداقته وزمالته معاني جديدة، اضافة إلى متعتي في قراءة ما يكتبه من تحقيقات وأعمدة لافتة للنظر.

هناك كثيرون داخل المدى لا يعرفون أن عبد الكريم العبيدي ممثل بارع، ولكنه لا يكشف عن مواهبه إلا في لحظات صفوه واسترخائه، وما زلت احتفظ بشريط سجلت عليه براعة أدائه اللا متناهي لصوت إحدى الشخصيات التاريخية العراقية التي أثرت فينا جميعاً!

آه.. لقد نفدت البطارية في كاميرتي المتخيلة، كنت أنوي الصعود إلى سطح الجريدة وتصوير مشهد رأسي لحركة العاملين في الجريدة، الجريدة التي تبدو - في هذا الوقت من النهار - وكأنها خلية نحل لا تهدأ.